

"التجديد : تصحيح أو لا يكون"

دكتور. علي محمد النوري

أستاذ اللغة والنحو والصرف

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

دبي- دولة الإمارات العربية المتحدة

مقدمة:

الحمد لله الذي يغيّر، ولا يتغيّر، يقبض وييسط، ويضع ويرفع، "كلّ يوم هو في شأن"، لا يطلّع على أمره إنس ولا ملك ولا جان، قد أحاط بكل شيء علماً، ولا يحيط به زمان، ولا يحويه مكان.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً في كلّ وقت وآن، ما استمر دهر واختلف الجديدان.

وبعد،

فإنّ الله أودع في الإنسان قابليّة التطور والتّجدد، واستخلفه الأرض واستعمره فيها، ليأتمر بأمره، وينتهي بنهيه، وينتهج نهجه، ويستبين حكمته، ويستيقن حكمه وجعل الله تلك القابلية في الإنسان دليلاً على استمرار الحياة، واتفاقاً مع ناموسها، وانسجاماً مع سنّنها، وتلاؤماً مع أطوارها، بلا نشاز عن مقتضياتها، ولا شذوذ عن متطلباتها.

وكذلك يكون التجديد سنّة من سنن الحياة.

ولكن إذا طغت تلك القابلية فأضحت لهاثاً وراء كلّ جديد، وركضاً خلف كلّ مستحدث، وشغفاً بكلّ وافد، وجنونا بكلّ مستجدّ، وتنكراً لكلّ أصل، وازدراءً لكلّ تراث، وهجراً لكلّ قيمة من خلُق أو دين أو مُثل، فقد صار التجديد جدّاً وانبثاقاً، وانقلب التطور هلاكاً واندثاراً. "وخير الأمور أوساطها". والاعتدال سيد الموازين. "ولا

ضرر ولا ضرار". وكلّ ما جاوز حدّه انقلب إلى ضده. والفضيلة كامنة بين رذيلتين. فلا إفراط ولا تفريط.

لذلك فإنّ التجديد الذي يكثر الجواهر، ويقلب المعايير، ويفسد المقاييس، ويحقق الأباطيل، ويبطل الحقائق، ليس بتجديد تقتضيه الحياة، وتستوجبه الفطرة، ويأمر به الدين، ويستلزمه الإيمان. وإنما هو بريق خُلّب، وبهرج خادع، يستهوي ذوي النظر القاصر، والهوى الكامن، فيخدعون له، ويخدعون به.

وإذا كانت اللغة هي مفتاح حضارات الأمم، ودليل قوتها أو ضعفها، وازدهارها أو انحطاطها، وتقدّمها أو تأخرها، وهي سرّ كيانها وشخصيتها، ومرآة خلقها وعلومها ودينها، فقد جعلت من اعتناء العلماء بتصحيح العربية الفصيحة، والذود عن سلامتها ونقاوتها، أمام لحن العوام، وأوهام الخواص، وكيد المتربّصين قديما وحديثا، للاستغناء عنها، والتخلي عن إعرافها وبياناتها، واستعمال العامّيات المحليّة، واللغات الأجنبية، واستبدال حروفها في الكتابة بالحروف اللاتينية، جعلت من كل ذلك ضربا من التجديد الحقيقي، وبحسبنا أسميته "التجديد تصحيح أو لا يكون"، حدّدت مفهوم التجديد في الأسّ اللغوي، وما ينبني عنه من دلالات، ويّنت مكانة اللغة في الأمة، وعرضت لنماذج مما صنع علماؤنا في هذا الصدد.

ثمّ ختمته ببعض النتائج المهمّة، والتوصيات الملحّة، راجيا من الله أن يتقبّله عملا خالصا، لا يراد به غير وجهه، ولا يقصد به غير رضاه.

وصلّى الله على سيدنا محمد حبيبه ومصطفاه، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما لا يُدرّك آخره، ويُعرف منتهاه.

معنى التجديد:

أ- الأسّ اللغوي:

يقال: جدّ الشيء يَجْدُ (بكسر الجيم) جدّة: صار جديدا.

والجديد: نقيض الخلق. والجدّة: مصدر الجديد، وهي نقيض البلى.

ويقال: شيء جديد، والجمع: أجدّة، وجُدّد، وجُدّد (بضم الدال الأولى وفتحها).

وَجَدَدْتُ الشَّيْءَ، أَجَدُّهُ (بِضْمٍ الْجِيمِ) جَدًّا: قَطَعْتَهُ. ومنه: ثوب جديد: بمعنى محدود، أي مقطوع، يراد به حين جَدَّه الحائِكُ: بمعنى قَطَعَهُ بعد الفراغ من حياكته، فهو قَدَّ جُدَّ حديثا. ومنه قول الوليد بن يزيد:

أبي حَبِّي سَلِيمِي أَنْ يَبِيدَا وَأَمْسَى جَلَّهَا خَلَقًا جَدِيدًا^(١)

أي مقطوعا.

والعرب تقول: ملحفة جَدِيدٌ، وملاءة جديدٌ، بغير هاء، لأنها بمعنى محدودة، بوزن: مفعولة: أي مقطوعة. ونقل ابن منظور (٧١١هـ) عن ابن سيدة (٤٥٨هـ) أنه يقال بالوجهين: ملحفة جديدٌ وجديدةٌ، وهو قول سيوييه، لأنه من الجدَّة نقيض البلي، وليس من القطع، ولذلك لحقتها هاء.

فمن جعل لفظ الجديد من الجدَّة كان عنده في وصف المؤنث بالوجهين: بهاء، وبغير هاء. ومن جعله من الجدَّ بمعنى القطع كان عنده بغير هاء فقط.

ويقال للرجل إذا لبس ثوبا جديدا: أَبْلَى، وَأَجَدَّ، واحمَد الكاسي.

ويقال: بَلَى بَيْتَ فُلَانٍ ثُمَّ أَجَدَّ بَيْتًا^(٢). وقال لبيد:

تَحْمَلُ أَهْلَهَا وَأَجَدَّ فِيهَا نَعَاجَ الصَّيْفِ أَخْبِيَةَ الظَّلَالِ

والجديدان والأجدان: الليل والنهار، وذلك لأنهما لا ييليان أبدا. ويقال: لا أفعل ذلك ما اختلف الأجدان والجديدان^(٣).

وتجدد الشيء: صار جديدا.

ويقال: كبر فلان، ثُمَّ أَصَابَ فَرَحًا وَسُرُورًا، فَجَدَّ جَدَّةً، كأنه صار جديدا.

وأجدَّه، واستجدَّه، وجدَّه: أي صَيَّرَهُ جديدا.

وأجدَّ فلان ثوبا، واستجدَّه: لبسه جديدا.

وأصل ذلك كله القطع.

فأما ما جاء منه من غير ما يقبل القطع فعلى المثل بذلك، كقولهم: جدَّدَ الوضوء،

وجدَّدَ العهد...

فأما قول الهذلي:

وقالت لن ترى أبداً تليداً بعينك آخر الدهر الجديد
فإن ابن جني قال: إذا كان الدهر أبداً جديداً، فلا آخر له، ولكنه جاء على أنه
لو كان له آخر لما رأيته فيه.

قلت: ويحمل ذلك على أنه كناية عن الامتناع والاستحالة.
والجديد: ما لا عهد لك به، ولذلك وُصف الموت بالجديد في لغة بني هذيل.
قال أبو ذؤيب:

فقلت لقلبي: يالك الخير! إنما يدلك للموت الجديد حباها

وفسر الأخفش والباهلي جديد الموت بأنه أوله^(٤).

قلت ومنه قول الآخر:

لكل جديد لذة غير أنني رأيت جديد الموت غير لذيد^(٥)

ب- بناء على أس:

ويفضي بنا ذلك الأس اللغوي إلى أن معنى التجديد- خلافاً للجديد- يتصل بما
هو موجود من قبل، ثم طرأ عليه ما يطرأ على الأشياء عموماً، بتقادم العهد، وكرّر الزمان،
من البلى.

أمّا الجديد فإنه يتصل أساساً بما لم يكن من قبل. وقد يوصف به المجدّد، على
جهة التوسع. فيقال لما قد كان، فبلى، ثم جدّد: جديد. وإذا كان لفظ البلى قد وضع أصلاً
للتعبير عما يطرأ على المحسّات حقيقة، فقد يُعبّر به عما يطرأ على المعنويات مجازاً.
غير أن الملحظ هنا أن البلى إنما يقع حقيقة على ذوات المحسّات نفسها، بخلافه
على المعنويات، فلا يقع على ذواتها، وإنما على جهات حفظها (الوعي والإدراك)، ليتجلّى
ذلك فيما يطرأ عليها من ترك، أو نسيان.

فالبلى في المعاني، واقع حقيقة في الجهات التي أوكل إليها حفظها ورعايتها، وإنما
أطلق لفظه عليها مجازاً، لأنّ بلى الظرف بلى المظروف.

وعليه، فالترك والنسيان لا يصيبان المعنى ذاته، وإنما يصيبان الجهة التي تحفظه، وحينئذ

يُحَصِّلُ للمعنى في نفس الحافظ ما يحصل.

ولذلك جاء الأمر بالتذكير، في القرآن الكريم، والسنة المطهرة، درأً لما يطرأ على المعاني من هذه الآفة، وتنبيهاً على أن التجديد مطلب ضروري تقتضيه الفطرة، وتستوجبه الحياة.

قال تعالى: "وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ" ^(٦).

فالإيمان معنى، وهو درجات كدرجات "المحرار"، يقوى فتعلو، ويضعف فتزل. أخبرت بذلك السنة الشريفة. وقوّته وضعفه ليسا في ذات معناه، بل في القلب الذي حواه. والتذكير، في هذا الصدد، إنما هو تجديد لما ضعف ليقوى، وتنبيه لما غفل ليجدد ويسعى، وتمكين لما قوي ليستيقن ويحظى.

وجاء الأمر بتجديد الإيمان في السنة المطهرة صريحاً في غير حديث وأثر. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: جددوا إيمانكم. قيل: يا رسول الله: وكيف نجدد إيماننا؟

قال: أكثروا من قول: لا إله إلا الله" ^(٧).

وبشّرت السنة هذه الأمة بما تولتها به العناية الإلهية، من ابتعاث الله - سبحانه وتعالى - من يجدد لها أمر دينها، على رأس كل قرن، حفظاً لهذا الدين وصوناً له من آفتي الترك والنسيان.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" ^(٨).

فالتجديد - كما أدركت - مطلب فطري يشمل المحسّات كما يشمل المعنويات. فهو حياة، لأنه ضرورة تقتضيها الحياة. أشبه شيء بما يقع للخلايا الحية التي تتجدد في كل مرة، كلّما امتدّت حياة الكائن الحي. حتى إذا امتنعت يوماً عن التجدد فقد ماتت. وبموثها موت الكائن.

والتجديد، بهذا المعنى شأن عامّ يهمّ كلّ جوانب الحياة. وإذا لم يكن شاملاً للجوانب كلّها، مستمراً في ظاهر كلّ جانب ومعناه جميعاً، فلا يعدّ تجديداً حقيقياً.

ولعلَّ أهمَّ جانب في حياة الإنسان ينبغي أن يعنى بتجده المستمر لذا الجانب اللغوي، لأنه المفتاح الأساس والمسار الحقيقي لمعرفة كُنه الحياة الإنسانية ونموها أو تعطلها، وارتقائها أو تأخرها.

مكانة اللغة في الحياة الإنسانية:

إنَّ اللغة بتفاعلها ونموها، وقوتها وضعفها، وسلامتها وسقمها، وتقدمها وتأخرها، وارتقائها وهبوطها، لهي أشبه ما تكون بالكائن الحي، بكلِّ صفاته وخصائصه. وإذا كانت اللغة كائناً حياً، فإنها تحيى بحياة أممها وتندثر باندثارها، وتقوى بقوتها وتضعف بضعفها، وتتأخر بتأخرها وتزدهر بازدهارها.

لذلك، فإنَّ أهل كلِّ لغة حريصون على لغتهم حرصهم على حياتهم، إلا إذا مُنوا بضعف، وسيموا بخسف، وذُلُّوا بقهر، فإنهم حينئذ يرمون على أقدام المنتصر، يأثمرون بأمره، ويتبعون نهجه، وينسجون على منواله، ويتكلمون لغته.

وإذا كان ابن خلدون قد زعم أنَّ المغلوب مولع بتقليد الغالب فإنَّ ذلك، في بدايته، ليس ولعاً وإنما قهر وغلبة.

واللغة، بألفاظها، وتراكيبها، ومعانيها، ودلالاتها، وإيجازاتها، ورمزها، وإغازها، هي الرُّوح الحركية للإنسان، المحددة لنفسه، والمنمية لعقله وتفكيره، وهي التي تصوغ علاقاته، ومواقفه، وخبراته، وقدراته.

فاللغة هي الإنسان، نفسه، وعقله، وعلمه، وثقافته، وشخصيته، وهويته. ولذلك عدّها العلماء والمفكرون مفتاح الإنسان، يلجئون به إلى استكناه بواطنه واستجلاء دواخله. لأن اللغة تراكم ثقافي، وعلمي، وديني، وخلقي، ومعرفي، وحضاري، قد تصعب الإحاطة به من كلِّ جوانبه، ولكنه يستدلُّ به على صاحبه. فاللغة وعاء لذلك كله، ومرآة لذلك كله. تعكس حركة الأمة وتاريخها، وقيمها، وحاضرها، ومستقبلها. وهي المحرك الأساس لرقائها وتطورها، لأنها آلة التجديد والاجتهاد، والتغيير، والتأثير، والتعلم، والتطوير، والكسب العلمي، والتبادل المعرفي، وبناء الذوق الفني. وهي العامل الأساس في تشكيل هوية الأمة، وهي السبب أيضاً في اندثارها واضمحلالها.

إذ اللغة تضعف بضعف الأمة وتقوى بقوّتها. فعلاقة التعبير بالتفكير علاقة تناسبية
طردية.

غير أنّ الأخطر، في هذا الصدد، أن ينسلخ الإنسان من لسانه ليعبر بلسان قوم
آخرين، ومن تكلم بلغة قوم فقد فكر بعقلهم، وتزّين بثقافتهم، وصاغ شخصيته: علمه،
وخلقه، ومعاييره، ومفاهيمه، وسلوكه... ونفسه، وحياته، وفق ما هم عليه.
ومن مظاهر حرص الأمة على لغتها صون ألفاظها من التحريف والتصحيف،
وإعراؤها من الخطأ واللعن، وأساليبها من التعقيد والإلتواء، ومعانيها من الغموض والإبهام.
وإذا كان اللسان دليلاً على ما في الجنان، فإنّ في سلامة الأول سلامة الثاني
وصفاً. ولا يُستدلّ على سلامة التفكير بمثل سلامة التعبير. وإذا كان الأطباء يدّعون أنّ
العقل السليم في الجسم السليم، فإنّ العلماء يزعمون أنّ الفكر السليم في اللفظ السليم.
وقديماً قيل: "تكلّموا تعرفوا، فإنّ المرء مخبوء وراء لسانه". وقيل:
"إنما المرء بأصغريه: يعني بقلبه ولسانه"^(٩).

ولغتنا العربية، شأنها شأن غيرها من اللغات. بل تفوقها في دواعي حرص أهلها
على صونها، لأنّها لغة القرآن، ووعاء تفسيره وأحكامه، ومعانيه وأفهامه، ومواعظه وعبره،
ولطائفه وإشارات، وبلاغته وأسراره. فالحرص على صونها حرص على صون الهوية
والدين. ومن أضاع هويته ودينه فقد أضاع نفسه.

وعليه، فهذا البحث المعنون بـ "التجديد: تصحيح أو لا يكون"، ينصبّ أساساً
على تحسّس جهود العلماء في العصور المختلفة، ومدى تلمسهم الصواب في الاستعمال
اللغوي، وحرصهم على توضيحه وتحقيقه، وتنبيههم على تحريفه وتصحيفه، وتنصيبهم
على مخالفه ونقيضه.

وقد عني البحث بذلك أوّل ما عني، وإن كان هناك أصناف أخرى من الخطأ،
كخطأ المعلومة الناجم، إمّا على وهم في المنقول، وإما على سوء فهم في المعقول.
وهذا أمر واقع- لا محالة- في كلّ العلوم والفنون دون استثناء. إذ الزعم
والنسيان، واضطراب الفهم، وسوء التقدير، ووضع الشيء في غير موضعه، كلّ ذلك من

طبيعة البشر. ومن ادّعى العصمة منهنّ، من غير أولي العصمة، فقد ادّعى محالا.

وإنما شأن العلماء أن يحرصوا على الحقّ، ويعضّوا على الصواب، لأنهم قدوة لمن وراءهم من السواد. فإن وقعوا في غير ذلك سهوا، أو التبس عليهم الأمر ظنا، ثمّ رجعوا إلى الحقّ إرشادا، وهدوا إلى الصواب توفيقا، رجعوا إليه، مذعنين له، مقبلين عليه.

فكم من فقيه رجع عن فتواه، وكم من صاحب مذهب رجع عن مذهبه، وكم من عالم كان يقول بالشيء، فلما تبين له خطؤه صار يقول بخلافه.

وإنك لتجد لكثير من علمائنا الأوائل الرأي ونقيضه، فتحار أيهما تعزوه إليه، وبأيهما تأخذ، وإلى أيهما تميل ؟ حتى إذا تبينت أنه كان في بداية الأمر يقول بالشيء، ثمّ لما بان له خلافه رجع عنه بأخرة إلى القول بسواه، أيقنت أنّ الرجوع إلى الحقّ كمال وفضيلة، وأنّ التماذي في الخطأ نقصان ورذيلة.

وعلماؤنا أحرص على الحقّ، وأرغب في الكمال، وأبعد عن الباطل، وأنأى عن النقصان.

وإذا، فالتجديد الحقّ تصحيح لأصل موجود، وليس بحثا عن شيء مفقود. وجهود التصحيح اللغوي، في تاريخ العربية، نشأت فعلا إثر ظهور بوادر اللحن في الكلام، ولا تزال إلى أيامنا هذه مستمرة استمرار الحرص على الصواب عند وجود الخطأ. إذ التصويب والخطأ متلازمان وجودا وعدما. فكلاهما علة ومعلول.

العرب والخطأ اللغوي:

قد كان العرب في الجاهلية يتكلمون، على فطرتهم السليقية، لغة فصيحة سليمة، لا لحن فيها ولا خطأ. وذلك لأنّ سجيّتهم اللغوية التي جُبلوا عليها، تنفر من الخطأ وتأباه. واستمرّ الأمر كذلك إلى بداية ظهور الإسلام.

أ- البيئة السليقية:

إذا سلمنا جدلا بسليقة العربي، فليس معناه أنّها مناعة لغوية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالجنس من حيث هو، وحيث ما كان.

إذ الظاهر أنّ السليقة ربيبة البداوة، فهي أصفى في البادية والصحراء منها في الحواضر

والقرى. وعليه، فهي ألصق بالأعراب منها بعموم العرب.

ولذلك كان عرب الحواضر، في الجاهلية وصدر الإسلام، إذا أراد أحدهم أن ينشأ والده سليماً في لغته، معافى في بدنه، استرضعه في بادية من البوادي.

وقد استرضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بني سعد^(١٠)، في بادية الطائف، وهو من قريش بمكة المكرمة^(١١).

ولذلك كان العلماء الأوائل، إذا أرادوا أن يجمعوا اللغة انتجعوا إلى البادية، وعاشوا الأعراب، وسجلوا في دفاترهم وصحفهم ما سمعوه منهم دون أن يراجعوهم فيما نطقوا به، أو يعترضوا عليهم فيما قالوه. وآتى لهم أن يفعلوا ذلك؟! افشتان مابين من يتعلم اللغة تعلمًا، ومن يتكلم بها سليقة!

ولذلك أيضاً قلّ أن نجد أحداً من أولئك العلماء قد سجل شيئاً سمعه، في المدن والقرى، يُستشهد به، إلاّ على جهة الاستثناس والموازنة، ليس غير. نخلص من هذا إلى أنّ للسليقة بيئة مخصوصة توجد بوجودها وتذهب بذهابها.

وأنّ للعرب في الجاهلية بيئتين لغويتين: هما البوادي والحواضر. وأنهم أدركوا أنّ اللغة أصفى في البيئة الأولى منها في البيئة الثانية، وأنّ سلامة اللغة في سلامة البيئة اللغوية، وأنّ سلامة البيئة في سلامة السليقة، وأنّ المنشأ السليقيّ هو عبارة عن حصانة لغوية يتلقاها الطفل منذ الصغر، فلا يُخاف عليه بعدها من عجمة في اللسان أو خطأ في التعبير. يستدلّ على ذلك بما تقدم من استرضاع أهل القرى أولادهم لدى الأعراب في البوادي. وقد نوّه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذلك في الحديث الذي نقله السيوطي، إذ قال - صلى الله عليه وسلم -: "أنا من قريش، ونشأت في بني سعد، فأثني لي اللحن"^(١٢) مما يجعلنا نقرّ بأنّ الصفاء اللغويّ أو كمال السليقة - إن صحت العبارة - أتمّ في البادية منه في المدن والقرى، وأنه بدأ يتكدر منذ أن وجدت البيئتان معاً. غير أنّ الكدر أسرع إلى لغة الحواضر منه إلى لغة البوادي.

ب- العربي واللحن:

إذا انتهينا إلى ذلك، فهل يجوز أن يلحن الأعراي ؟ وهل جاء عنه ما يفيد وقوعه

فيه ؟ وهل يجوز أن يقع ذو السليقة السليمة في الخطأ اللغوي ؟ انقسم العلماء في جوابهم عن هذه التساؤلات إلى ثلاث طوائف : - ذهبت طائفة إلى أن الجاهلي قد يخطئ. فقد عقد ابن جني (٣٩٢هـ) باباً في "خصائصه" سماه "باب في أغلاط العرب" (١٣) اعتمد فيه على أستاذه أبي علي الفارسي (٣٧٠هـ) الذي كان يميل إلى أن الغلط إنما دخل في كلام العرب لأهمليست لهم أصول يراجعونها، ولا قوانين يعتصمون بها، وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به، فرموا استهواهم الشيء فزاغوا عن القصد (١٤). والحاصل أن هذا يناقض مفهوم السليقة التي تأبى الخطأ، وتنفر من اللحن سجية. وإذا كنا أقررنا بسليقة الأعراي في البادية، وأن لغته السليقية مطلب ينشده عرب أهل الحواضر أنفسهم، باسترضاع أولادهم لدى الأعراب في البوادي، طلبا لسلامة البنيتين الجسمية واللسانية، فهل يعقل أن يكونوا يطلبون لغة يجوز فيها الخطأ واللحن ؟

ثم إن العلماء من بعد، عندما توفروا على جمع اللغة، لم يطلبوها من غير بيتها السليقية ، فانتجعوا إلى البوادي - كما أسلفت - وعاشروا الأعراب، وأقاموا بين ظهرانيهم، يسمعون ويدنون. أف يكونون هم أيضا قد جمعوا لنا لغة من أناس يخلطون ويخطئون ؟

وأية أصول وقوانين هذه التي يراد من الأعراي أن يرجع إليها، ويعتصم بها، إذا كانت سليقته هي أصوله وقوانينه ؟ وهل وضع اللغويون والنحويون تلك الأصول والقوانين إلا على ما جمعه من لغة الأعراب السليقيين ؟ - وذهبت طائفة أخرى إلى أنه ليس لأحد أن يخطئ الأعراب ، أهل اللغة السليقية، سواء أتكلّموا بها على ما يجري على الأصول والقوانين أم على ما لا يجري عليها، لأنهم إنما يتكلمون على سجيّتهم السليقية، وما أصلت الأصول، وضبطت القوانين إلا على لغتهم. فكيف يُخطئ الأعراب بالاحتكام إلى قواعد استنبطت أصلاً من كلامهم ؟

ثم إن كلمة اللحن - فيما ذهب إليه ابن فارس - بمعنى إمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية، كلمة مولدة، لأنّ اللحن محدث، لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة^(١٤).

والأغلب على ظنّ ابن جنّي (٣٩٢هـ) أنّ الكلمة استعملت لأول مرّة بهذا المعنى، عندما تنبه العرب، بعد اختلاطهم بالأعاجم، إلى الفرق ما بين التعبير الصحيح والتعبير الملحون^(١٥).

ويستدل بهذا على أنّ الأعراب ذوي السليقة اللغوية لا يخطئون في كلامهم، ولا ينبغي أن يخطؤوا. يشار بذلك إلى تناقض القائلين باحتمال الخطأ في كلام السليقي. فهم يقولون له بسلامة سليقته اللغوية من جهة، ثمّ يجوزون عليه اللحن من جهة أخرى؟! - وتوسّط طائفة ثالثة بين الرأيين، فذهبت إلى أنّ الأعراب قد يخطئون في المعاني دون الألفاظ، لأنّ العربية سليقة لهم، مرت عليها ألسنتهم، ودأبت عليها طباعهم، فلا يحدون في كلامهم بها عن الصواب، ولا يميلون بها عن السداد. وذلك قبل أن يكون بينهم وبين العجمة سبب من مخالطة أو جوار^(١٦).

وما أراه أنّ إقرارنا بوقوع الأعراب في اللحن - كما سبق - يناقض تسليمنا بسليقتهم. لأنّ السليقة والخطأ نقيضان لا يجتمعان. فالأولى سلامة طبع، والثاني انحراف له، والسلامة والانحراف لا يلتقيان في فطرة واحدة؟! وما بني عليه رأي الطائفة الأولى يُحمل على تصرّف العرب في كلامها وفق سليقتها. وحسبنا أنّ اللغة السليقية هي لغة الإستشهاد اللغوي، ومنها استنبطت الأصول والحدود، وليس العكس.

أما الرأي الثاني فلعمري ماذا تغني سلامة اللفظ إذا كان معناه فاسداً؟ وهل كان الأعراب سليقين في الألفاظ دون المعاني؟! وهل السليقة صنفان: سليقة في الألفاظ، قد كان للعرب حظ وفير منها، وسليقة في المعاني، لم يكن لهم منها شيء؟! والحاصل، أنّ اللغة كائن حي - كما سبق - وإنما حياته التي أراها تكمن في مدى التلاؤم بين لفظه ومعناه.

ج - اللحن والتصويب:

أمّا بعد انتشار الفتوحات الإسلامية، واختلاط العرب بأمم شتى، قد اعتنقت الإسلام وانضوت تحت لوائه، من الفرس، والروم، والأحباش، والبربر، وغيرهم؛ واضطرار هؤلاء إلى تعلّم لغة الفاتحين، سواء على جهة ولوع المغلوب بتقليد الغالب - كما زعم ابن خلدون - أم على جهة أتباعه قهراً وغلبة، أم على جهة تعلّم هذا الدين، وفهم شرائعه

وتعاليمه، وفقه آدابه وأخلاقه، إيماناً وتصديقاً، فقد تسرب الفساد إلى لغة كثير من العرب بحكم المعاشية والمعاشرة.

وبدأ يُسمع شيء من اللحن في التخاطب اليومي بين الناس، ثم فشا واستفحل حتى بلغ قراءة النص الكريم. فقد نُقل ما يشير إلى بدايات ظهور اللحن على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندما لحن رجل بحضرته، فقال: "أرشدوا أخاكم فقد ضلّ" ^(١٧).

وفي الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "رحم الله امرأً أصلح من لسانه" ^(١٨).

والملحظ المهم، في هذا الصدد، أن الخطأ اللغوي لم يعد مجرد زلة لسان، لا شأن لها، وإنما صار عملاً سيئاً، وضلالاً، كما أن الصواب قد صار عملاً صالحاً و رشاداً. وأنّ لأول عقابا كما أن لآخر ثواباً. فالمصطلحات الدينية قد شملت، في الإسلام، جميع الجوانب الحياتية. لأنّ كلّ نشاط إنسانيّ، إن أتقن، وأخلص قصده، فهو عبادة. واللغة من أهمّ الأنشطة الإنسانية، لأنّ مفتاح الإسلام أو الكفر كلمة.

والنصوص المنبئة عن اللحن الواقع في مواضع من القرآن الكريم كثيرة، أقصر منها على مثال واحد، مشهور، يُستدلّ به على ما سواه. فقد روي أن أعرابياً قدم إلى المدينة، في خلافة أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال:

"من يقرئني شيئاً مما أنزل الله على محمد - صلى الله عليه وسلم - ؟

فأقرأه رجل سورة براءة لاحقاً: "وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله" ^(١٩) (بكسر اللام).

فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله ! إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه.

فبلغ عُمرَ - رضي الله عنه - مقالة الأعرابي، فدعاه، فقال له: "يا أعرابي، تبرأ من

رسول الله ؟

فقال: "يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن، فسألت من

يقرئني، فأقرأني هذا سورة براءة، فقال: "...أن الله بريء من المشركين ورسوله" ^(٢٠)

(بكسر اللام)، فقلت: أو قد برئ الله تعالى من رسوله ! إن يكن الله تعالى برئ من

رسوله فأنا أبرأ منه.

فقال له عمر - رضي الله عنه - : " ليس هكذا يا أعرابي".

فقال: " كيف هي يا أمير المؤمنين ؟

فقال: "...أنّ الله بريء من المشركين ورسوله" ^(٢١) (بضم اللام).

فقال الأعرابي: " وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منه".

فأمر عمر - رضي الله عنه - ألاّ يُقرأ القرآن إلّا عالم باللغة" ^(٢٢).

تُستنتج من خلال هذا النص أمور مهمة أجمالها في ما يلي:

- أنّ إقبال الأعراب على تعلّم القرآن إنّما كان بدافع الدين. فالتعلّم سببه الدين. وتعلّم اللغة لم يكن يُقصد لذاته، وإنّما للتفقه في الدين وفهم تعاليمه.

وبذلك نشأ نوعان من الحرص: حرص على سلامة الدين، وحرص على سلامة

اللغة، لأن اللغة وعاء للمعاني، والقيم، والأفهام، والأحكام، والحدود.

فالداعي الحقيقي إلى التعلّم إنّما هو الدين، وليس اللغة، ولذلك لما أسلم الأعراب،

أهل اللغة السليقية، أقبلوا على الحواضر ليتعلّموا القرآن، وليتفقهوا في الدين. وفي هذا

إيدان بتقلص بيئة السليقة اللغوية، أمام انتشار بيئة جديدة، وهي بيئة اللغة المتعلّمة (بصيغة

اسم المفعول).

فقد نزحت بعض القبائل عن بواديهم، وجاوروا الحواضر والقرى. وصارت هذه

تستقطبهم شيئا فشيئا، بأحداثها السياسية، والعلمية، والاقتصادية، والاجتماعية.

وحينئذ بدأ الانفصال عن اللغة السليقية تدريجيّا إلى اللغة المتعلّمة (بصيغة اسم

المفعول).

- أنّ ما بلغ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أول الأمر، من كلام ذلك الأعرابي، إنّما

هو قضية دينية مجردة، وهو التبرؤ من رسول الله - صلى الله عليه وسلم. لأنّ الدين هو

محط الاهتمام، وهو موضوع التعلّم. حتى إذا علّم أنّ ذلك التبرؤ مبني أساسا على لحن

لُقّنه الأعرابي، عُذر وصوّب. وأنّ الذي صوّبه إنّما هو الخليفة نفسه، لأنّه المسؤول تكليفا

على سلامتي اللغة والدين. ولذلك كان الخليفة - من خلال هذا النص - هو مصدر

التصحيح الرسمي.

- أن معلّم هذا الأعرابي لآحن في القرآن. وهو أشدّ أنواع اللحن. وإذا بلغ اللحن نصاً متلقّى، متواتراً، فهو فيما دونه من الكلام أكثر. مما يؤكد تفشي اللحن في الحواضر (المدينة).

- أن الأعرابي المتعلّم لم يراجع معلّمه اللّاحن، وإن كانت سليقته أبت عليه ذلك، لأنّ النصّ المتلقّى دين، وليس مجرد لغة. ولا شأن للسليقة بالدين.

- أن السليقة اللغوية أدركت بفطرتها فساد المعنى المترتب عن ذلك اللّحن، إذ تبرأ الأعرابي من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عملاً بمؤدّي ظاهر النصّ المتلقّى. وكأنّه أراد بذلك أن ينبّه معلّمه إلى فحش ما وقع فيه. ولكنّ المعلّم لم ينتبه.

مما يدلّ على أنه موغل في هذا اللحن، دون تمييز بين ما يفسد المعنى وبين ما يصلحه. وأتى لمثل هذا أن يكون معلّماً؟

- أن حاجة المدن والقرى إلى اللغة المتعلّمة (بصيغة اسم المفعول) آكد من اللغة السليقية، وإن كانت الأخيرة هي مصدر الأولى وأساسها الذي بنيت عليه.

وذلك لأنّ تعاليم الدين، وأحكامه، لا يוכל فيها إلى السليقة والسجية، وإنما إلى المعرفة والعلم. ولهذه الأحكام حدود، واصطلاحات، وألفاظ معينة، وعبارات مخصوصة، لا تدرك إلا بالمدارس، والإفهام، والتّعلّم.

لذلك ظهر التعليم ضرورة من ضرورات هذا الدين، مع أول كلمة أنزلت من القرآن الكريم: "اقرأ"، وبدأت السليقة تغيب شيئاً فشيئاً. لأنّ التعليم والسليقة نقيضان لا يكادان يجتمعان في بيئة واحدة.

- أن "العالم باللغة"، في هذا القرار التعليمي الأول، الصادر من دار الخلافة، إنما هو أحد رجلين: إمّا عربي سليقي، وإمّا جامع لعلم معيّن باللغة. وإذا كانت السليقة قد بدأ عهدها في إدبار، فقد بدأ عهد التعليم في إقبال. وإنما التعليم بعلم، ولا يعطيك الشياء فاقده.

ولم يقف اللحن عند الحواضر والمدن بل امتد إلى البوادي، مهد السليقة اللغوية فقد نقل الجاحظ (٢٥٥هـ) أن أول لحن سُمع بالبادية، قول القائل: "هذه عصاتي" بدل

"هذه عصاي"، وأن أول لحن سمع بالعراق، في قول المؤذن: "حَيَّ على الفلاح" (بكسر الياء، بدل فتحها)^(٢٣).

وتسرب اللحن إلى مجالس العلماء، وبلاطات الخلفاء والأمراء و الولاة، وسمع كثيرا، على رؤوس الملا، من فوق منابر الخطباء، غير أن الناس كانوا يتعايرون باللحن، وتسقط مكانة الرجل منهم في المجتمع إذا لحن في كلامه، حتى قيل: "ليس للاحن حُرمة"^(٢٤). لذلك كله ظهرت علوم اللغة، وظهر أول ما ظهر منها "علم النحو"، وكان ما كان من أمر نشأته، على ماهو معروف في مظاته.

فالتحو نشأ أساسا لمعرفة الخطأ من الصواب نطقا، وكتابة، وفهما. وبذلك حلت الأصول النحوية، والقوانين اللغوية في الحكم على سلامة الكلام، واستقامة معناه، محلّ السليقة. فهو علم التصحيح اللساني، إن جاز لي أن أنعته بذلك. وظهرت الكتابة والتدوين لحفظ النصوص وتسجيلها. فخرجنا بذلك من لغة يتناقلها الناس مشافهة إلى لغة مكتوبة.

ولعل من متعلقات الكتابة، وخوف اللحن فيها أيضا، مادعا أبا الأسود الدؤلي (٦٧هـ) أن يتكر الحركات الإعرابية على شكل نقط، ضبط بها المصحف الشريف بلون يخالف مداده، درأ لوقوع اللحن في قراءته^(٢٥). وقد طوره من بعده تلميذه نصر بن عاصم (٨٩هـ)، مستبدلا إياه بالشكل الحالي، الذي هو أبعاض حروف. وقد قيل: إن الشكل، من حيث هو، أجدى في حفظ النصوص من حدود النحو. وهو أعظم خدمة للعربية.

"غير أنه مع توالي الأيام- كما يقول أبو الفضل إبراهيم- واتساع نطاق الحضارة الإسلامية، ووفرة الشعراء والكتاب، وكثرة المؤلفات والمصنفات في شتى نواحي الأدب والفنون، ظهر أمر آخر، لا يقل عن اللحن خطرا. وهو شيوع الخطأ اللغوي في الإستعمال، والالتواء في الأسلوب، والخروج عن سنن العرب في كلامها"^(٢٦).

فالظاهر أن اللحن قد بدا وكأته محصور في الخطأ الإعرابي، حتى قرر ابن جني أن العرب أشد استنكارا لزيغ الإعراب منهم لخلاف اللغة، إذ قد ينطق بعضهم باللفظ الدخيل والمولد، ولكنه لا ينطق باللحن^(٢٧)؛ أي لا يخطئ في الإعراب.

ولكنّ اللحن قد اتسع فصار يشمل الخطأ الإعرابي، واللغوي، والأسلوبي، وكلّ خروج على ما درجت عليه العرب في كلامها، لا فرق في ذلك بين ما يقع فيه الخواص، وهم العلماء والمصنفون، وبين ما يقع فيه العوام، وهم الدهماء من الناس. وقد عني العلماء بالتنبيه على لحن هؤلاء وهؤلاء جميعاً، تصحيحاً لمواقع الخطأ، وتقويماً لموضع الزلل.

العلماء والتصحيح اللغوي:

أ- لحن العوام والخواص:

وقد صنفت مؤلفات مخصوصة في لحن هؤلاء وهؤلاء جميعاً:

- فألف في لحن العوام: الكسائي (١٨٩هـ-)، والفراء (٢٠٧هـ-) وأبو عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠هـ-)، والأصمعي (٢١٦هـ-)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ-) وأبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (٢٣١هـ-)، وأبو عثمان المازني (٢٤٨هـ-)، وأبو حاتم السجستاني (٢٥٥هـ-)، وأبو حنيفة الدينوري (٢٨٢هـ-)، وأبو بكر الزبيدي (٣٧٩هـ-)، وأبو منصور الجواليقي (٥٣٩هـ-)..... وألف ابن بالي القسطنطيني (٩٩٢هـ-) "خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام".

- وألف في لحن الخواص: أبو زيد عمر بن شبة البصري (٢٦٢هـ-) كتاب "النحو ومن كان يلحن من النحويين"، وأبو هلال العسكري (٣٥٠هـ-) "لحن الخاصة"، والخطابي (٣٨٨هـ-) "إصلاح غلط المحدثين"، والحريري (٥١٦هـ-) "درة الغواص في أوهام الخواص"، وابن برّي (٥٨٢هـ-) "غلط الضعفاء من الفقهاء"... وألف ابن كمال باشا (٩٤٠هـ-) "التنبيه على غلط الجاهلي والنبية"، وألف ابن الحنبلي (٩٧١هـ-) "عقد الخلاص في نقد كلام الخواص" و "سهم الألفاظ في وهم الألفاظ".

وما ذكرته في هذا الصدد، فإنما على سبيل التمثيل لا الحصر.

وقد حفلت المجاميع اللغوية (المعاجم) بالتنصيص على ذلك، كما في:

- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (نسبة إلى جده الأزهر) (٣٧٠هـ-).
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) لاسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ-).
- المقاييس، لأبي الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ-).

- أساس البلاغة لأبي القاسم جاز الله محمود بن عمر الرمحشري (٥٣٨هـ)، وإن كان موضوعا لتتبع نوابغ الكلم وجمعها ليهتدى بها، ويُنسج على منوالها، ممِّيزا في تحديد الدلالات بين المعاني الحقيقية وبين المجازية.

- اللسان لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، المشهور بابن منظور، الإفريقي المصري (٧١١هـ).

- تاج العروس لمحمد بن محمد الزبيدي (١٢٠٥هـ).

كما تضمنت المعاجم تنبيهات جمة على ما وقع فيه العلماء والعوام من أوهام، وتحريفات، وأخطاء، أشارت إلى تصحيحها، بعبارات مشهورة: نحو "قل ولا تقل"، و"العامّة تقول كذا"، و"لا يقال كذا".

وقد جمعت ما جاء من ذلك في "الصحاح" للجوهري (٣٩٣هـ)، ورتبته بحسب حروف الهجاء، فوجدته أكثر من أن يتسع له هذا المقام، فاقترعت على نماذج منه، يُستدل بها على جهد الرجل في هذا الصدد، مثالا لعلماء كثيرين غيره.

قال - رحمه الله -:

- "يقال للمرأة أيضا إنسان، ولا يقال إنسانة، والعامّة تقولهُ" (٢٨).

- "بني فلان بيتا، من البنيان. وبني على أهله بناء، فيهما: أي زفّها، والعامّة تقول: بني بأهله، وهو خطأ. وكان الأصل فيه أن الداخل بأهله كان يضرب عليها قبة ليلة الدخول بها، فقليل لكل داخل بأهله بان" (٢٩).

وقد سها الجوهري - رحمه الله - في رسم "عَرَسَ" فاستعمل ما استعملته العامّة بعد

تَبّه عليه هاهنا، قال:

- "وقد أعرس فلان: أي اتخذ عُرسا. وأعرس بأهله، إذا بني بها، وكذلك إذا غشيها.

ولا تقل عَرَسَ، والعامّة تقولهُ" (٣٠).

- "الجنّازة: واحدة الجنّائز. والعامّة تقول: الجنّازة، بالفتح. والمعنى للميت على السرير،

فإذا لم يكن عليه الميت فهو سرير، ونعش" (٣١).

- "وتقول: أعد عليّ كلامك من رأس، ولا تقل من الرأس، والعامّة تقولهُ" (٣٢).

- "والعجوز: المرأة الكبيرة. قال ابن السكيت: ولاتقل: عجوزة. والعامّة تقوله" (٣٣).
 - "يقال: يامن يافلان بأصحابك: أي خذ بهم يمنة. ولا تقل: تيامن، والعامّة تقوله" (٣٤).
 - "ناقة أجد: إذا كانت قوية موثقة الخلق، ولا يقال للبعير أجد" (٣٥).
 - "يقال: رجل إمّ وإمعة، للذي يكون - لضعف رأيه - مع كل أحد. ومنه قول ابن مسعود: "لا يكونن أحدكم إمعة".

قال أبو بكر بن السراج: هو فعل، لأنه لا يكون إفعال وصفا.
 وقول من قال: امرأة إمعة، غلط، لا يقال للنساء ذلك، وقد حكى ذلك عن أبي عبيد" (٣٦).
 - "تعب تعباً: أعى. وأتعبه غيره، فهو تعب ومُتعب، ولا تقل متعوب" (٣٧).
 - "وتقول: الحمد لله الذي جاء بك، أي الحمد لله إذ جئت، ولاتقل: الحمد لله الذي جئت" (٣٨).

- "خَلَّاتِ الناقة خَلًّا وخَلَاءً، بالكسر والمد: أي حرنت وبركت من غير علة. كما يقال في الجمل: ألخ، وفي الفرس حرن.. ولا يقال للجمل: خلاً" (٣٩).
 - "وأرتج على القارئ، على ما لم يسم فاعله: إذا لم يقدر على القراءة، كأنه أُطبق عليه، كما يُرتج الباب. وكذلك أُرْتِجَ عليه. ولاتقل: أُرْتِجَ عليه، بالتشديد" (٤٠).
 - "والسرّ، بالضم: ما تقطعه القابلة من سرّة الصبي. يقال: عرفت ذاك قبل أن يُقطع سرّك. ولا تقل: سرّك، لأنّ السرّة لا تقطع، وإنما هي الموضع الذي قطع منه السرّ" (٤١).
 ولعل الأجدى، في هذا الصدد، أن يستدرك العلماء بعضهم على بعض. ولو أننا تتبعنا تعقبات الأزهري (٣٧٠هـ) لليث، من خلال "التهذيب" لوجدنا تصحيحات وتعليقات وتوجيهات كثيرة، تستحق أن يفرد لها عمل مستقل. ولا يُغفل، في هذا السياق، ما جاء في "حواشي" ابن بري (٥٨٢هـ) على "صاح" الجوهري.

ب- فصاحة الكلمة:

كما ظهرت مصنفات تعنى بفصاحة الكلمة، وسلامة بنيتها، وجمال الأسلوب، وحسن الإستعمال، وسلاسة التركيب نحو "إصلاح المنطق" و "كتر الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ" لأبي يوسف يعقوب بن السكيت (٢٤٤هـ)، و "الفصيح" لأبي العباس

أحمد بن يحيى، المعروف بثعلب (٢٩٧هـ)، و "فائق الفصيح" لأبي عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد، المعروف بغلام ثعلب (٣٤٥هـ)، و "تمام الفصيح" لأبي الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، و "شرح الفصيح" لأبي القاسم جابر الله محمود بن عمر الزخشي (٥٣٨هـ) ... وغيرها.

وتجدر الإشارة ، في هذا الصدد ، إلى أن المعاجم اللغوية قد تضمنت - في الغالب - جلّ ما سبق ذكره من تلك الكتب المختصة، في مختلف الفنون. إذ هي عبارة عن موسوعات في علوم العربية، تكبر أو تصغر، بحسب جهد مصنفها، وليست مجرد وسائل يستعان بها على فهم الكلمات المستعصية. ولذلك تجد فيها نحواً، وصرفاً، وبلاغة، وعلم لغة، وفقهاها، وأدبا، ونقداً، وتصويهاً، وأسلوباً، وأمثالاً، ونوادير، وتاريخاً، وقصصاً، وكلّ ما يصلح اللسان والقلم، ويصحح الفهم، ويهذب الذهن والذوق جميعاً.

ج- تصويب الرسم:

و نشأ عن انتشار الكتابة، وكثرة المصنفات، نوع آخر من اللحن، لم يكن يعرف من قبل، وهو ما يتصل بالرسم من تصحيف أو تحريف، بحيث تُحمل الكلمة على غير وجهها المراد.

لذلك صُنِّفَت كتب تعنى بهذا الضرب من الخطأ، وتصحح هذا اللون من "لحن القلم"، مثل "التنبيه على حدوث التصحيف" لحمزة الإصفهاني (٣٦٠هـ)، و "التنبيهات على أغاليط الرواة" لأبي القاسم علي بن حمزة البصري (٣٧٥هـ)، و "شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف" لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (٣٨٢هـ)، و "تصحيف التصحيف" و "تحرير التحريف" لخليل بن أيك الصفدي (٧٦٤هـ)، وغيرها...

كل هذه العنوانات تدل على اهتمام علمائنا بالأعلام بسلامة اللغة الفصيحة، وتنقيتها من اللحن، والعامي، والدخيل، وحفظ إعرابها من التحريف، والذّب عنها بالتنبيه على الخطأ المستعمل، و ذكر تصويبه بما يجب أن يجري به الاستعمال.

وليس من شك أن جهودهم تلك كانت تجديداً ضرورياً، يكبح جماح الخارجين على اللغة الفصيحة، ويحمي أصالتها، وسلامتها، ونقاوتها.

د- الازدواج اللغوي: اللهجات العامية واللغات الأجنبية:

"وقد كان أعداء العرب - على حدّ عبارة الضامن - ينتقصون من اللغة الفصيحة، ويدعون إلى تبني اللهجات العامية، وقد ارتبطت هذه الدعوة في القدم بدعاوى الشعوية، وأعداء العروبة، وحديثا بالاستعمار وأعوانه" (٤٢).

ولكنّ الأمر تجاوز ذلك، إلى الاستعاضة عن العربية بلغة المستعمر نفسه، وإن لم يكن جائئا على البلاد، متحكما في العباد.

والعامية ظاهرة طبيعية قديمة في حياتنا اللغوية، شأنها في العربية كشأنها في اللغات الأخرى، قديمها وحديثها، لأنّ لكل لغة مستويين من التعبير:

- لغة التخاطب اليوميّ، وهي اللغة التي يستعملها عموم الناس في تعاملاتهم المعتادة.
- لغة أدبية، وهي لغة الخطابة، والكتابة، والشعر، والتاريخ، والسّير، والفقه، والتفسير، وعلوم العربية، وجميع المعارف والفنون.

وإذا كانت العامية تمثل منذ القدم، ظاهرة الازدواج اللغوي، فإنّها قد ارتبطت، في العصر الحديث، بمخططات الاستعمار، وبسط هيمنته على ثروات هذه المنطقة العربية الإسلامية، والتحكم في مقدّراتها الطبيعية، بما يضعفها ويقوّيه، ويفقرها ويغنيها، ويشتهها ويجمعه.

وليس أجدى في تدويع الأمم، وتشثيت أمرها، وكسر شوكتها، وتصديع كيائها، من إضعاف لغتها. وإذا أضعفت اللغة فقد خلت نفوس أهلها من المعاني، والقيم، والمعايير، وإذا خلت النفوس من ذلك أُلتمست بدائل في اللغة الوافدة، وإذا كان ذلك اختلّت العلاقات بين الناس، فمن مشرق إلى غير شرق، ومن مغرب إلى غير وجه، وكثر التاعقون بما لاعهد للناس به، وفاض الأدعياء في كلّ شأن من شؤون الحياة، فيضا، وغاض الأوفياء غيضا.

ولم يألُ المستعمر جهدا أن يستغلّ، لتحقيق مآربه، كلّ وسيلة، ويسلك كلّ نهج، ويستلّون بكلّ لون، ويتزيّى بكلّ زيّ، ويرغب ويُرهب، ويعد ويتوعّد، ونظر في أمره وبسّر، فوجد في اللهجات العامية الإقليمية أقصى مبتغاه، فشجّعها، وجنّد لها أجنادا يكتبون بها وينشرونها^(٤٣)، وسُخرت جلّ وسائل الإعلام للتكلّم بها، بحجة الاقتراب من

الناس وتوعيتهم، وثقيفهم.

وقد جعل المستعمر بذلك من كلّ إقليم أمة، لها لهجتها، وعاداتها، وأنماط حياتها، تختلف عن غيرها في الأقاليم الأخرى. فشئت ما كان مجتمعا، وباعد ما كان مقتربا. وصار الواحد متّا- دون مجاملة- غريبا، إذا زار أو أقام بأيّ قطرٍ عربيّ، على حين لم يكن كذلك الأندلسي- فيما مضى- إذا قضّى حياته في دمشق، أو القيروان، أو القاهرة.

وقد رصد الضامن مظاهر التركيز على العامّيات العربية عند المستعمرين، بما يكشف عن كيدهم للفصحى، وإن كانوا يخفون ذلك- على عاداتهم- تحت غطاء ما يسمى بالدرس العلمي.

قال: "وقد مهّد الاستعمار لمحاربة اللغة الفصيحة بأن أدخل تدريس اللهجات العربية المحلية في جامعاته، بل وأنشأ مدارس خاصة لدراسة هذه اللهجات، مستعينا في ذلك بالشرقيين الذين كانوا يعملون في بلاده، وبالمستشرقين الذين كانت لهم معرفة باللهجات العربية المحلية.

- ففي إيطاليا دُرست العاميّة في "مدرسة نابولي للدروس الشرقية" التي أنشئت سنة ١٧٢٧م.

- وفي النمسا أنشئت "مدرسة القناصل" في فيينا سنة ١٧٥٤م، لأنها كانت تعلّم القناصل لغات الشرق، ومنها العربية، مهتمة بلهجاتها العامية. ثمّ أسست سنة ١٨٥١م مدرسة للهجات الشرقية.

- وفي فرنسا دُرست اللهجات العربية العاميّة في "مدرسة باريس للغات الشرقية الحية" التي أنشئت سنة ١٧٥٩م.

- وفي روسيا أنشئت "مدرسة لا زارف للغات الشرقية" في موسكو سنة ١٨١٤م، وكانت تدرّس العربية، ولغات الشرق الأخرى، وفي عام ١٩٠٩م خصّصت فرعا لها لتدريس العربية ولهجاتها العاميّة.

- وفي ألمانيا أنشئ "مكتب كبير" في برلين لتدريس اللغات الشرقية، ومنها العربية ولهجاتها المحلية.

- وفي الجمر أنشئت سنة ١٨٩١م "الكلية الملكية" لعلوم الاقتصاد الشرقية، وتدرّس اللهجات، ومنها العربية.

- وفي بريطانيا أنشأت جامعة لندن في أوائل القرن التاسع عشر فرعاً فيها لتدرّس العربية الفصحى والعامية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد كثرت عندهم المؤلفات الخاصة باللهجات العامية، نتيجة اهتمامهم بإدخال تدرّس اللهجات العربية العامية في مدارسهم وجامعاتهم. ومن هذه المؤلفات:

١- "لهجة بغداد العامية" لـ "ماسنيون".

٢- "لغة بيروت العامية" لـ "أمانويل ماتسون".

٣- "لغة مراكش العامية وقواعدها" لـ "ابن سميل".

٤- "قواعد العامية الشرقية والمغربية" لـ "كوسان دوبر سفال".

٥- "عامية دمشق" لـ "برغرستراسر".

٦- "قواعد العربية العامية في مصر" لـ "ولهم سبيتا".

٧- "اللهجة العربية الحديثة في مصر" لـ "كارل فولرس".

٨- "العربية المحكية في مصر" لـ "سلدن ولمور".

٩- "المقتضب في عربية مصر" لـ "فيلوت وباول".

هذه نظرة سريعة عن اهتمامهم باللهجات العامية. وهذا الاهتمام لم يكن من أجل البحث العلمي كما كانوا يزعمون، ولا من أجل حاجتهم إلى معرفة لهجات البلاد العربية التي تقتضي مصالحهم أن يعيشوا فيها، ويتعاملوا مع أهلها، وإنما من أجل القضاء على العربية الفصحى، وإحلال العامية محلّها، ليتسنى لهم التفاهم بها في مستعمراتهم، واستغلالها في التجسس والاتصال بالعامّة^(٤٤).

وأضيف إلى ذلك ازدواج اللغوي القديم، المتمثل في العاميات العربية المتعددة بتعدد الأقاليم، والتي عمل المستعمرون على نشرها وازدهارها- كما علمت-، أضيف إليه ازدواج لغوي جديد، تمثل في اللغات الأجنبية المتعددة أيضاً بتعدد المستعمرين، من

فرنسية، وإنجليزية، وألمانية، وإيطالية... وغيرها.

واضطّررنا نحن العرب، أن ينشأ نشؤنا على تعلم هذا الازدواج المضطرب والخليط اللغوي المتلاطم من عامّيات وأجنبيّات، منذ أن يلج المدارس الابتدائية، بل ومن قبل ذلك، في أحضان المربيات، ورياض الأطفال، وسنوات التمهيد.

وازدحمت العوامل كلها جاهدة لتغرس في تلك النفوس البريئة حبّ اللغة الأجنبية، وتحتّ منها حبّ لغتها الأصلية، وتلقنها أنّ هذه اللغة الوافدة لغة حية، لتعلم، من خلال هذه التسمية ذاتها، أنّ ما سواها لغة مَوَات، وتستيقن أنّ اللغة الأجنبية - كما يصورونها - لغة الحضارة، والتقدّم، والتقنية، والاقتصاد، والعلوم، بل هي لغة المستقبل: وظيفة محترمة، ومكانة مرموقة، وحياة كريمة...

وصار الواحد منّا يفاخر أخاه بأنّ اللغة الأجنبية التي يتقنها أفضل من اللغة التي يتقنها أخوه، وبأنّ المستعمرين الذين احتلّوا بلاده أرقى وأقوى من الذين احتلّوا بلاد أخيه^(٤٥). وصار منّا من يزدي لغته، وجنسه بل ووطنه، وعشيرته، وقومه.

وحسبك ذلك هزيمة وتقهقرا، وحسب الأعداء منّا ذلك ضعفا واستسلاما. وقد رافق ذلك الازدواج الخليط دعوة إلى استصعاب العربية، نحوها، وصرفها، ومفرداتها، وتركيبها، وعباراتها، والتنفير من إعرابها وضبطها. وصار التحرر من الإعراب وتسكين أواخر الكلمات هو الحلّ الأمثل عند الناعقين بذلك، لتستوي الفصحى والعامية.

وقد شكك بعض المستشرقين في وجود الإعراب في اللغة الفصيحة أصلا، وزعم أنّه من صنع النحويين في مرحلة متأخرة من مراحل تاريخ العربية، كما فعل "كارل فولرز" و "باول كاله"، وتابعهما من الشرقيين الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - في كتابه "من أسرار اللغة"، فجعل الإعراب قصة رائعة، حيكت وتمّ نسجها بإحكام على أيدي قوم من صنّاع الكلام^(٤٦).

ودعا بدعوته متأثرون به من أمثال "داود عبده" في كتابه "أبحاث في اللغة العربية" و "فؤاد ترزي" في كتابه "في أصول اللغة والنحو"^(٤٧).

وكذلك أضعفت العربية الفصحى، رباط هذه الأمة، وهويتها الحقيقية، ومفتاح

كياتها وقوّتها ومناعتها، وباب دينها، وراثتها، وثقافتها، وعلومها، وحضارتها. وضعف التعليم تبعاً لذلك، وقلّ الإقبال على الطلب الرصين، والتزود المكين، وتنافس الناس على مجرد إحراز الشهادات، واستوى العالم والمتعلم، واختلط الغث بالسمين. وعلى الرغم من كثرة المدارس والمعاهد والجامعات، ومحاولاتها الجادة لأداء مهامها الجسيمة، فإنّ نسبة الأميّة في بلداننا العربية الإسلامية، تظل مرتفعة جداً. وأنشئت الجامعات العلمية^(٤٨) للتصدي لهذا التيار الجارف، ولتكون، في زمن الازدواجية والخلط، ضرباً من المرجعية اللغوية، تقرر، في كلّ فترة، ما يراها المختصّون، من كبار الباحثين والعلماء، أنه صواب، أو أن العربية تجيزه، وتستسيغه. ولكنّ أثرها ظلّ قليلاً محدوداً، قد لا يتجاوز بعض المشتغلين، وذوي الاختصاص.

خاتمة بأهمّ النتائج والتوصيات:

وقد وقف البحث، في خلال مراحله، على نتائج عدّة، وأفضى إلى توصيات مهمّة، أردت أن أعرض بعضها فيما يلي:

- أنّ التجديد - كما يدلّ عليه معناه اللغويّ - مقترن بالبلى، وأنّ بلى المعاني نسيانها وتركها، وليس واقعا على ذواتها، وإنما في الجهة التي تحويها وتشملها.

ولذلك كان التذكّر والتذكير في الدين ضرباً من التجديد سواء في الفرد أم في الأمة. وقد جاء لفظ التجديد صريحاً في الإسلام، متعلّقاً مرّة بالإيمان، ومرّة بالدين كله. فتجديد المعاني إذاً يحصل بمعالجة آفة النسيان. وآفة النسيان تُعالج بالتذكّر.

- أنّ التجديد ضرورة فطرية تستوجبها الحياة البشرية. وهو يشمل كلّ جانب من جوانبها. غير أنّ مفتاح كلّ ذلك، ومحركه إنّما هو اللغة.

- أنّ اللغة وعاء للمعاني والقيم والدين، وهي هوية الأمة، وعنوان حضارتها، وثقافتها، وعلومها، وراثتها، وسر قوتها أو ضعفها. وأنّ العلاقة بين الأمة ولغتها علاقة طردية، تقدماً وتأخراً.

- أنّ التجديد ليس معناه التخلّي عن التراث والأصول والهويّات، واستفراغ الذات لاستقبال كلّ ماهو آت. وإنما هو هئيئة ما عندك ليلائم عصرك، بما لا يبتك عن ماضيك،

ويؤخر كَمَا هو آتِيك، حتَّى لا يُزعم أن ما عندك من قدم هو علة تأخر ك، وأنَّ ما هو آتِيك من وافد أو جديد هو سرّ تقدّمك.

- أن اللغة العربية قد وقعت، في هذا العصر، غرضا صوّبت إليه سهام العجز والكيد، عجز أبنائها وكيد أعدائها. وأنَّ صوغها وتجديدها وتنقيتها واجب عيني على كلّ فرد من أفراد الأمة، يكبر أو يصغر، يعظم أو يقلّ، بحسب المكانة العلمية لكل فرد.

- أن اللغة العربية لا ينبغي أن يوجّه إليها، في جامعاتنا، كلّ من أعوزته التخصصات، وضاعت به السبل، واضطّرّ إليها اضطرارا.

- أن تجديد التعليم لا يعني أعداد الخريجين والخريجات، ممّا تدفع بهم المعاهد والجامعات، من حاملي الشهادات، وإنما يعني النخب القليلة الممتازة، التي أحبت اختصاصاتها، وأتقنتها، وسعت إلى تطويرها بما يلائم عصرها، دون أن تفقد هويتها وأصالتها.

- أن سورة الشهادات المحمومة قد أسكرت الناس في هذا العصر. وصار يُنتقص من ليس معه شهادة جامعية، وإن كانت طاقاته الذاتية، وميولاته الشخصية توجهه إلى غير الجامعة. فالشهادة الجامعية قد صارت عندنا ضربا من التقليد (موضة)، يخلو، في أغلب الأحيان، من حقيقة معناه.

وإنما التعليم الحقّ أن لا يكون فيه من لا يستحق.

المصادر والمراجع

أ-

- القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم)

- الأحكام النحوية والقراءات القرآنية: جمعا وتحقيقا ودراسة (ر- د مخطوطة) الدكتور: علي محمد

النوري، جامعة أم القرى- كلية اللغة العربية- ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م

- أربعة كتب في التصحيح اللغوي، للخطابي، ولابن برّي، ولابن الحنبلي، ولابن بالي. تحقيق:

الدكتور حاتم صالح الضامن. ط١- عالم الكتب- بيروت- ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م

- إصلاح المنطق، لأبي يوسف يعقوب بن السكيت. شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. ط/٢- دار المعارف بمصر- القاهرة- ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م.

- الأعلام (قاموس تراجم)، تأليف: خير الدين الزركلي. ط/٥- دار العلم للملايين- ١٩٨٠م
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/١- دار الفكر العربي القاهرة- مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت- لبنان ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م
ب-

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/١- مطبعة البابي الحلبي وشركاه- ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروزآبادي، تحقيق محمد المصري، ط/١- مركز المخطوطات والتراث- الصفاء- الكويت- ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م
ت-

- التقريب في تشيئة التغليب، للدكتور علي محمد النوريط/ ١ مكتبة ومطبعة جيل المستقبل- ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م

- كتاب التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة الأصفهاني، تحقيق محمد أسعد طلس، مجمع اللغة العربية بدمشق- ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م
- تمهيد اللغة، للأزهري. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. الدار القومية - القاهرة- ١٣٨٤هـ/
١٩٦٤م

ح-

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي: ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م

- كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، للبطلبوسي، تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودي دار الرشيد- بغداد- ١٩٨٠م

خ-

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي. ط/ بولاق ط/ دار الكتاب- تحقيق:

عبد السلام محمد هارون - القاهرة - ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م

- الخصائص، لابن جني. تحقيق محمد علي النجار ، ط/٢ دار الهدى - بيروت - لبنان (دون تاريخ).

د -

- درة الغواص في أوهام الخواص، للحريري ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر -

القاهرة - ١٩٧٥م

س -

- سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق: د/حسن هندأوي. ط/١ - دار القلم - دمشق - ١٤٠٥

هـ / ١٩٨٥م

ش -

- شرح الفصيح، للزخشري تحقيق: د/إبراهيم الغامدي. مطابع جامعة أم القرى - مكة المكرمة -

١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

ص -

- الصحاح، للجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار الكتاب العربي بمصر - دون تاريخ.

ط -

- طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط/١ مطبعة الخانجي -

القاهرة - ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م

غ -

- غاية النهاية من طبقات القراء، لابن الجزري ، نشره: ج.برجستراسر ، ط/٢ دار الكتب العلمية -

بيروت - لبنان - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

ف -

- في أصول النحو، لسعيد الأفغاني ، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

ك -

- الكتاب، لسيبويه. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط/٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٧

- الكامل في اللغة والأدب، للمبرد ، مكتبة المعارف- بيروت- لبنان (بدون تاريخ)

ل-

- لسان العرب، لابن منظور ، دار صادر- بيروت- لبنان- ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م

- اللهجات العربية في التراث، للدكتور أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب- ١٩٨٣هـ

- ليس في كلام العرب، لابن خالويه ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، ط/ ٢ مكة المكرمة-

١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م

م-

- مجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط/ ٢

دار المعارف- القاهرة (بدون تاريخ)

- مجالس العلماء، لأبي القاسم الزجاجي ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، القاهرة- مكتبة

الخانجي- الرياض: دار الرفاعي ط/ ٢- ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م

- كتاب المرصع، لابن الأثير ، تحقيق: الدكتور فهمي سعد ، ط/ ١- عالم الكتب- بيروت- لبنان-

١٤١٢هـ- ١٩٩٢م

- الزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي ، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وصاحبه دار إحياء

الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه- دون تاريخ.

- معجم البلدان، لياقوت الحموي ، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- دون تاريخ

- معجم الشعراء، للمرزباني ، تصحيح: د/ف. كرنكو، ط/ ٢- دار الكتب العلمية- بيروت-

لبنان- ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

- معجم شواهد العربية، لعبد السلام محمد هارون، ط/ ١- مكتبة الخانجي بمصر- ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

- معجم القبائل، لعمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- دون تاريخ.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، ط/ ١- دار الفكر- بيروت-

لبنان- ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

- معجم المتفق والمفترق في ألقاب أئمة اللغة والنحو، للدكتور محمد كشاش ، ط/ ١- عالم الكتب-

بيروت- لبنان- ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م

- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط/٣ مكتبة الخانجي - القاهرة-١٤٠٢هـ-١٩٨١م

- معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار، للذهبي ، تحقيق: بشار عواد معروف وزميله، ط/١ مؤسسة الرسالة- بيروت-١٤٠٤هـ-١٩٨٤م
ن-

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري ، تحقيق: د/ إبراهيم السمراي، ط/٢- مكتبة الأندلس- بغداد- ١٩٧٠م

الهوامش

- (١) ويروى: "وأضحى حبلها" انظر هامش الصحاح: (جدد) ٤٥٤/٢.
- (٢) وفي الصحاح: "وهي بيت فلان، فأجد بيتا من شعر". وفسره المحققان بأن الباهي من البيوت: هو الخالي المعطل. والبلى نقىض الجدة أولى مما جاء مصحفا و فسر على تكلف.
- (٣) انظر التقريب في ثنية التغليب: للدكتور علي محمد النوري: ٣٦.
- (٤) انظر (جَدَد) في تهذيب اللغة للأزهري : ١٠/٤٦١-٤٦٥، والصحاح للحواري: ٤٥٤/٢، واللسان لابن منظور: ١١١/٣-١١٢.
- (٥) من محفوظاتي صغيرا.
- (٦) الذاريات: الآية: ٥٥.
- (٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ٢/٣٥٧، والحاكم في "المستدرک": ٤/٢٥٦، والبيزار في "كشف الأستار": رقم: ١٤٢٤، والإمام أحمد في "المسند" (الأرناؤوط): ١٤/٣٢٨، و(دار صادر): ٢/٣٥٩.
- (٨) أخرجه أبو داود في "السنن": كتاب الملاحم، أو باب ما يذكر في قرن المائة: ٤/١٨٣٥ رقم: ٤٢٩١.

(٩) إصلاح المنطق (لابن السكيت): ٣٩٦.

(١٠) وهم بنو سعد بن بكر بن هوازن. وكان حاضن الرسول منهم: الحارث بن عبد العزى بن رُفاعة، ومرضعه زوجته: حليلة بنت عبد الله بن الحارث، وهي المعروفة في السيرة النبوية بـ "حليلة السعدية".

(١١) انظر مراتب النحويين: ٢٣.

(١٢) المزمهر: ٣٩٧/٢، وانظر في أصول النحو: ٧.

(١٣) انظر الخصائص: ٣/٣٧٣.

(١٤) انظر السابق.

(١٥) انظر العربية: ليوهان فك: ٢٤٥.

(١٦) انظر الخصائص: ٣/٣٧٣.

(١٧) انظر محاضرات عن الأخطاء اللغوية الشائعة، محمد علي النجار: ٨/١.

(١٨) الخصائص (مطبعة دار الكتب المصرية): ٨/٢، وروي في "إرشاد الأريب" عن عبد الله بن

مسعود - رضي الله عنه -: ٨٢/١، وانظر في أصول النحو لسعيد الأفغاني: ٧.

(١٩) انظر في أصول النحو: الموضع السابق.

(٢٠) سورة التوبة: الآية: ٣ (والصواب - بضم اللام).

(٢١) سورة التوبة: الآية: ٣ (والصواب - بضم اللام).

(٢٢) نزهة الألباء (أبو الفضل): ١٧-١٨ (في ترجمة أبي الأسود)، وانظر في أصول النحو: ٧-٨.

(٢٣) البيان والتبيين: ٢/٢١٩، وانظر في أصول النحو: ٩.

(٢٤) انظر مزيدا من النصوص في ذلك في أصول النحو: ٩-١٥.

(٢٥) انظر الترهة: ١٨.

(٢٦) درة الغواص: مقدمة التحقيق: ٣.

(٢٧) انظر في أصول النحو: ١٤-١٥.

(٢٨) الصحاح (أنس): ٣/٩٠٤.

(٢٩) الصحاح (بني): ٥/٢٢٨٦.

(٣٠) الصحاح (عرس): ٣/٩٤٨.

(٣١) الصحاح (جتر): ٣/٨١٠.

(٣٢) الصحاح (رأس): ٣/٩٣٣.

(٣٣) الصحاح (عجز): ٣/٨٨٤.

- (٣٤) الصحاح (عن): ٢٢٢٠/٦.
- (٣٥) الصحاح (أجد): ٤٣٩/٢.
- (٣٦) الصحاح (أمع): ١١٨٣/٣.
- (٣٧) الصحاح (تعب): ٩١/١.
- (٣٨) الصحاح (جياً): ٤٢/١.
- (٣٩) الصحاح (خلأ): ٤٨/١.
- (٤٠) الصحاح (رتج): ٣١٧/١.
- (٤١) الصحاح (سرر): ٦٨٢-٦٨١/٢.
- (٤٢) أربعة كتب في التصحيح اللغوي: تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن: تمهيد: ٧.
- (٤٣) ويؤسفني أن منهم كثيراً من حاملي شهادات الدكتوراه.
- (٤٤) أربعة كتب في التصحيح اللغوي: للخطابي، ولاين بري، ولاين الحنبلي، ولاين بالي، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن: (التمهيد): ٨-٩.
- (٤٥) كالذي يحصل مثلاً بين من استعمره الانجليز والفرنسيون والألمان، وبين من استعمره الإيطاليون.
- (٤٦) انظر الأحكام النحوية والقراءات القرآنية (ر- د مخطوطة) د/علي محمد النوري: ١٢١/١-١٢٥.
- (٤٧) انظر السابق: ١٢٠/١.
- (٤٨) كمجمع القاهرة ودمشق وبغداد.

